وقفات مع عقيدة السلف

ناصر بن عبدالكريم العلي العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ

دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ ـ ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢

إن الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أفضل خلقه نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فهـذه محاضرة كنت قد ألقيتهـا في أحـد المـراكز الصيفية بجـدة في صيف عام **١٤١٣**هـ وقد رغبت (دار الصميعي) مشكـورة في طبعها ونشرها كما هو معـروف عنها وعن صاحبها **الأخ** الكريم (عبدالله الصميعي) وفقنا الله وإياه، من النشاط والحرص على نشر كل ما هو نافع ومفيد. إسهاماً في نشر الخير ونفع الأمة.

هذا وأسأل الله للجميع العون والتوفيق.. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحابته الكرام..

ناصر بن عبدالكريم العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه. ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

وبعد أيها الإخوة،(*) فإن من أهم القضايا التي تشغل بال أهل العلم، بل يجب أن تشغل بال كل مسلم ما يتعلق بالعقيدة، من حيث فهمها ونشرها والعمل بها، والتأثر بها في الحياة الفردية والاجتماعية، والحياة العلمية والعملية. فإن العقيدة بلا ثمرة لا تفيد صاحبها، لا في الدنيا ولا في الآخرة. والعقيدة

(*) ألقيت هذه المحاضرة في جدة في صيف عام ١٤١٣هـ.

ليست مجرد علم يُحصَّل فحسب، ولا أيضاً مجرد عمل يظهـر فحسب. بل العقيدة هي الإسـلام. هي حيث التعامل، ومن حيث المواقف. فهي الدين.. ولقد ضاق في العصر الحديث لدى كثير من المسلمين مفهوم العقيدة، حتى كاد أن يُحصر في جانب معين من جوانب المعـرفة. ولم يكن الخطأ في هذا المفهوم حاصلا من قبل أصحاب الأهواء والبدع فحسب، بل (مع الأسف) حصل تضييق مفهوم العقيدة حتى عنـد بعض من ينتسبـون إلى السنـة، حتى كادت تنحصر لدى بعض المثقفـين والمفكـرين وطـلاب العلم، في مجرد العلم والمعرفة. وعند فريق آخر في مجرد التعامل مع الآخرين وهذان مسلكان على طرفي نقيض بينما العقيدة نهج كامل، فهي دين الفطرة، وهي سبيل المؤمنين، وهي نهج السلف الصالح.

وحصر العقيدة في الأمور العلمية المعرفية إنما هو منهج منحرف. لم يكن يعرف في تاريخ الإسلام إلا

الإسلام من جميع الجوانب، من حيث الاعتقاد، ومن حيث العلم، ومن حيث العمل، والسلوك، ومن بعد ما ظهرت الفرق الكلامية. وبعد ما ظهرت الأهواء. وكذلك حصر العقيدة في مجرد التعامل مع الآخرين والموقف منهم وأسلوب تناول الأحداث والأحكام، دون التركيز على الجانب العلمي والمعرفي أمر طارىء كذلك لم يحدث إلا عند بعض أهل الأهواء، كالخوارج ومن سلك سبيلهم.

ولقد أسهمت الاتجاهات الحديثة التي يدفعها الغزو الفكري، كالعلمانية، والشعوبية والقومية أو غيرها، في حصر العقيدة في زاوية من زوايا الحياة لدى المسلم، بل في زاوية من زوايا النفس لدى المسلم، فلذلك لما ظهرت الصحوة المباركة بحمد الله في العقودة المتأخرة وبدأت تتحسس أمور الإسلام الحقيقية، وبدأت تتلمس المسار الصحيح لاستئناف الإسلام ـ ظهرت أصوات كثيرة (منها ما يحمل

شعارات إسلامية) تستنكر أن يكون للعقيدة أثر علمي في حياة الناس، أو أن تتدخل العقيدة في شؤون الحياة. ومن ثم نشأت مفاهيم باطلة ومنحرفة وخطيرة. مثل الفصل بين الشريعة والعقيدة. أو اعتبار العقيدة شيئاً معرفيا فكرياً ثقافياً لا صلة له بالعمل والتعامل. أو اعتبار العقيدة مسلكاً شخصياً إنما يسلكه طائفة من البشر ربما يوصفون بضيق الأفق أو بالأصولية أو السلفية أو نحو ذلك.

وهذه الصحوة المباركة التي بحمد الله عمت البلاد الإسلامية، بل عمت الأرض كلها لم تسلم في بعض شرائحها من التأثر بهذه المفاهيم الخاطئة سلباً أو إيجاباً، إفراطاً أو تفريطاً. ومع ذلك فإن الصحوة بحمد الله صحوة فيها رشد على وجه العموم، ويشهد لها العقلاء المنصفون بأنها تتلمس الحق، وأنها تتحرى النهج السليم. وأنها تحرص على اقتفاء السنة. فعلى هذا وجب على أهل العلم وطلابه أن ينيروا الطريق

لأبناء الصحوة. وأن يسددوهم، وأن يبينوا لهم ما قد يقع عند بعضهم من خطأ في المفاهيم أو في التعامل أو في السلوك. وهذا هو مقتضى النصيحة.

ومن هذا المنطلق أحببت أن أسهم، بإبداء بعض ما يجول في خاطري من القضايا حول عقيدة السلف. وسأقف بعض الوقفات على ضوء ما ذكرته من الأمور السابقة، وسأتناول منها ما يتيسر، وما يسمح به الوقت.

الوقفة الأولى

حول مفهوم عقيدة السلف

ولن أدخل في التعريفات اللفظية والاصطلاحية بقدر ما أعطي بعض المعاني الإجمالية التي نحاول قدر الإمكان أن نعرض بها مفهوم العقيدة الشامل كما هو في الإسلام.

فالعقيدة في الإسلام، أو عقيدة السلف كما اصطلح عليها أئمة الهدى، تشمل قضايا كثيرة وأصولاً عديدة. أذكر منها ما يلي:

أولاً: ما يتعلق بالتوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى بذاته وأسمائه وصفاته، وبربوبيته وإلاهيته وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة. فالتوحيد كما يشمل العبادة، ويشمل معرفة أسماء الله وصفاته فإنه كذلك يشمل: المعرفة والإيمان، والعمل الذي هو ثمرة

الإيمان، وثمرة فهم أسماء الله وصفاته، وتوحيده. وينبغي أن يكون التوحيد قائماً على حقيقة التأله لله سبحانه وتعالى، بتجريد العبادة له وحده سبحانه، وتحر ير الإنسان من العبودية لغير الله بكل أشكالها ومعانيها. وقبل ذلك تحرير النفس والعقل والعمل والسلوك من كل ما يدفع الإنسان أو يوقعه في التوجه إلى غير الله سبحانه. وهذا هو أول ثمار معرفة أسماء الله وصفاته. ولذلك قد يسمى بعض أهل العلم جميع أصول الدين بالتوحيد، نظراً لأن توحيد الله سبحانه وتعالى هو الغاية من فهم العقيدة، ولأن العلم بتوحيد الله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم وأزكاها، وهو المطلب الأول لكل مسلم. ولذا لا يزال أهل العلم يسمون علوم العقيدة بجملتها بعلم التوحيد، بتسمية العلم بأشراف معانيه وأشرف مباحثه ومبانيه.

ثانياً: مما يدخل في عقيدة السلف، وهي العقيدة

الإسلامية الحقة: ما يتعلق بالإيمان، بأركانه ومسائله. وهي أوسع أبواب العقيدة، لأنها تشمل: الإيمان بالله، بتوحيده بذاته وأسمائه وصفاته، وتشمل الإيمان بالملائكة، وما يدخل تحتها من تفصيل، والإيمان بالكتب وبالرسل واليوم الآخر وبالقدر. وتشمل أيضاً مسائل الإيمان الأخرى التي تقررت في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ما يسمى بمسائل الإيمان، كتعريف الإيمان ودخول الأعمال في مهمة الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه، والاستثناء في الإيمان. ويدخل في ذلك أيضاً نواقض الإيمان، ويدخل في ذلك الأحكام المترتبة على هذه الأمور، كالأحكام بالكفر، وبالإسلام والمعصية والفسق والظلم وغير ذلك مما يسمى بالأسماء والأحكام، كل هذه المباحث تلحق بمسائل الإيمان، وهي من أمور الاعتقاد.

ثالثاً: مما يدخل في عقيدة السلف:

*** مصادر الدين:**

مصادر الدين من أهم أصول الاعتقاد، وتنحصر مصادر الدين بالوحي المتمثل بكتاب الله وما يتعلق به جملة وتفصيلا من معناه وتعريفه وحقوق كتاب الله والأصول التي يفهم بها الكتاب، ثم السنة وما يستلزم العمل بها من الأمور ثم الاجماع ومبناه على الوحي.

رابعاً: ومما يدخل في العقيدة:

* مناهج السلف في فهم النصوص، وفي استنباط قواعد لشرع وأصوله وأحكامه من النصوص. فمنهج السلف في فهم كتاب الله تعالى والعمل به، في العقيدة والأحكام، ومنهج السلف في تلقي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بها في العقيدة والأحكام، كل ذلك يدخل في أمور العقيدة. فلذلك نجد أن من أعظم أسباب ضلال أهل الأهواء والافتراق، الذين خالفوا أهل السنة والجماعة إخلالهم

بمنهج فهم النصوص واستنباطها والعمل بها.
وبمنهج إثبات النصوص وتقريرها واعتمادها.

ذلك أن الإسلام مبناه على الوحي. والوحي إنما هو القرآن والسنة. والقرآن كلام الله، وقد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقرير أصول الدين وفروعه. والسنة التي هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وإجماع أئمة الدين مبني على الوحي وما عدا هذه الأصول فإنه لا يعول عليه في الدين. فلذلك صار منهج تناول الدين من النصوص أصلا من أصول الدين. فمثلاً حينما استقر علم الحديث بفروعه وجزئياته عند أهل السنة لم يكن استقراره لمجرد الإثبات بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب. إنما كذلك لحماية الدين من المصادر الدخيلة، من وضع الوضاعين، وكذب الكذابين، وافتراء المفترين، وأهواء أهل الأهواء وتأويل المبطلين وفلسفة المتفلسفين وغير ذلك من

الأمور الصارفة عن الحق. فكانت الأصول أو العلوم التي أثبت بها السلف النصوص جزءاً من العقيدة لا يتجزأ. فقد استقر الصحيح بجملته، وما دونه. وميز عن الضعيف أو الموضوع أو المكذوب.

خامساً: ثم يتبع ذلك طريقة تناول النصوص وتقرير العقائد، واستنباط الأحكام منها. فالطريقة التي استنبط بها السلف الأحكام، أو قرروا بها قواعد الشرع، لم تكن من اختراعهم، بل كانت من سنن الهدى التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين، ثم عن أئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة. وعلى هذا فإنه لا يسع أحدا من الناس أن يدعي أننا في حاجة إلى أسلوب جديد للتمييز بين الصحيح والضعيف، تفصيلاً، ولا أننا بحاجة أن نغير موازين التصحيح والتضعيف. أو موازين نقد الرجال كما قررها هؤلاء الذين عايشوا الرواة، وأخذوا العلم نقياً طرياً عن أئمة الهدى،

ذلك أن تلك الأساليب التي قرروا بها النصوص وحفظوها لنا، والتي قرروا بها مناهج الاستدلال وأثبتوها لنا، وأثبتوا أصول الدين وفروعه. وتلك الأساليب التي عملوا بها وطبقوا بها الإسلام إنما هي سنن الهدى بجملتها.

نعم. قد نجد الحاجة إلى النظر في بعض النصوص، في حديث أو حديثين أو عشرة أو أكثر على ضوء الموازين السابقة، ولكن دعوى أننا نستغني عن الأصول التي وضع بها السلف أصول الدين وفروعه، وقرروا بها مناهج الدين إلى موازين جديدة في ضوء مستجدات العصر الحديث فهذا باطل، بل هو من أخطر الأفكار الناسفة التي تخدم أهل الأهواء والزيغ والضلال، والتي تؤدي إلى الافتراق في الدين وإلى ضياع الحق وترك سبيل المؤمنين.

سادساً: مما يدخل في العقيدة دخولاً أولياً:

* مناهج التعامل:

أعني التعامل مع الآخرين، مع المسلمين أو غير المسلمين فهذا أمر تقررت أصوله وقواعده. وصارت من مناهج الدين وقواعده، كذلك التعامل مع المسلمين فيما يتعلق بقضاياهم أو مشكلاتهم. والتعامل مع الأحداث أو المواقف العامة التي تؤثر في مصالح الأمة، والتعامل مع أهل الحل والعقد من العلماء وولاة الأمور أو نحوهم، والتعامل مع المجتمع، واظهار شعائر الدين، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يستلزم ذلك من قواعد وأصول، كل ذلك قد تقرر عند السلف على ضوء النصوص الشرعية، واتفق عليه السلف بأصوله وقواعده العامة. وهذه الأصول والقواعد تدخل في العقيدة، بل تدخل دخولاً أولياً، وهي ثمرة الاعتقاد، وهي الثمرة التي تتبين من خلالها حقيقة

العبودية لله تعالى، وحقيقة الاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم وحقيقة الولاء والبراء، وحقيقة الانتساب للدين والسنة، وحقيقة الأخوة بين المؤمنين، وحقيقة الجماعة وترك الفرقة، وحقيقة الاقتداء بأهل القدوة وأهل الاهتداء ممن أمر الله سبحانه بالاقتداء والاهتداء به.

أقول: إن منهج التعامل مع الأشياء والأحداث والأشخاص منهج مستقر عند السلف بأصوله. وإنما الذي قد نختلف عليه ويكون محل نزاع واجتهاد، ويسع الخلاف فيه هو الجزئيات التي تدخل تحت الأصول، وتحت القضايا العامة. وأما الأصول والقواعد في منهج التعامل فهي جزء من العقيدة، بل هي الثمرة العملية التي من خلالها تتضح حقيقة الالتزام بالعقيدة في سلوك الفرد والجماعة. فإذا أخل الفرد في منهج التعامل فإن هذا ينعكس على فهمه للعقيدة، أو على تطبيقه لها. وإذا أخلت الجماعة أو

المجتمع بمنهج التعامل مع الأشياء أو الأحداث أو الأشخـاص فإن إخلاله هذا دليل على الإخلال في فهم العقيدة والتزامها، أو بتطبيقها. وأقصد بذلك أن العقيدة ليست مجرد المعـرفة والتحصيل أو العلم بأصول الاعتقاد. إنما هي علم وعمل وسلوك وتعامل وممارسة.

الوقفة الثانية

حول مصادر الدين أو مصادر العقيدة عند أهل الأهواء

وسأذكر ما ينافي ما عليه سلف الأمة في هذه المسألة. فبضدها تتبين الأشياء.

عرفنا أن مصادر العقيدة ومصادر الدين ـ هي كتاب الله تعالى وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه السلف. وهذه المصادر كافية كاملة وافية لا يمكن أن يحتاج الناس في دينهم إلى غيرها إلى قيام الساعة. فإن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا الدين قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم سد باب الابتداع والإحداث في الدين في نص قاطع، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». كما صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». **وورد** أيضاً بلفظ آخر «كل محدثة في الدين» فأي إحداث في الدين إنما هو ابتداع وضلال. والإحداث في الدين يشمل نتاج الأهواء، أو نتاج العقول، أو نتاج الفلسفات، أو التأثر بالديانات أو الملل والنحل أو العصبية، أو نحو ذلك من الأمور التي تدخل في الدين ما ليس منه، أو تخرج من الدين ما هو منه. وكل ذلك إحداث في الدين.

ولذلك جاء في النص الآخر ما يدل على أن أي عمل ليس له أصل في الشرع فهو مردود. فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». العمل هنا يشمل عمل القلب وعمل الجوارح. والإحداث أشمل من مجرد العمل ولكن النص على العمل هنا دليل على أن أي أمر من أمور الدين، حتى لو لم يكن **اعتقاداً، ما لم يكن**

تقرر في الكتاب والسنة فهو مردود، وهذه قاعدة جامعة مانعة لا يمكن أن يستثنى منها شيء. فأي أمر من أمور الدين فهو محصور بمصادر الدين. القرآن والسنة، وإجماع السلف، وإجماع السلف كما تعرفون لا يعد مصدراً مستقلاً، إنما هو مصدر مبني على النصوص. فإن الإجماع على أصل من أصول الدين لا يمكن أن يتم إلا بالاعتماد على الوحي. لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ الدين، وبألا تجتمع الأمة على ضلالة، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعدم الإجماع على الضلالة دليل على أن السلف، وهم القدوة وهم الأسوة وهم الذين تقوم بهم الحجة على الخلق، لم يجمعوا على أمر من الأمور إلا وله أصل في الشرع.

فعلى هذا لا يعد الإجماع مصدراً مستقلاً عن الكتاب والسنة. إنما هو مصدر تابع. والإجماع جاء اعتباره نظراً لأن بعض النصوص قد يشكل فهمه،

فيلتبس العلم به أو العمل، فإذا أجمع السلف على اعتقــاد شيء مما ورد في النصــوص أو عمله، فإن إجماعهم مصدر يعتمد على الوحي.

ما عدا هذه المصادر فلا يصح أبداً الاعتماد عليه في الدين.

وعلى هذا وبضده تتميز مناهج أهل الأهواء والبدع، والافتراق، وسأشير إلى شيء من المصادر التي يتلقى منها أهل الأهواء عقائدهم وأعمالهم ومواقفهم وتدينهم قديماً وحديثاً.

فأول هذه المصادر:

* **الأهواء:** والهوى في الغالب أمر خفي، وقد يكون جلياً. والهوى هو الميل الذي يجعل الإنسان يتجاوز الحق أو يقصر فيه بالجهل أو العمد مع استبانة الحق، فإذا مال الإنسان عن النهج السليم بقصد أو بغير قصد فإن ميله يسمى هوى لأن الميل عن الحق بغير قصد لا يكون إلا نتيجة التقصير بالعلم بالحق أو

اتبـاعـه والهـوى معنى جامـع يشمـل أشياء كثيرة. وتدخل فيه المصادر الأخرى التي سأذكرها فيما بعد. لكن الهوى أو الأهواء هي أول الأسباب التي اختلت بها عقائد أهل الابتداع والافتراق في تاريخ الإسلام. فلو رجعنـا بالذاكرة قليلاً إلى أول افتراق حدث في الأمـة لوجدنا أنه حدث من الخوارج. والخوارج قوم ذوو تدين وصـلاح واستقـامـة في الـظاهـر. لكنهم تشـددوا في الـدين وخرجوا عن الاعتدال فوقعوا في الهوى. ولم يكن وقوعهم بمعنى أنهم تركوا نصوص الكتاب والسنة، أو أنهم عولوا على عقولهم كما يظن بعض الناس لا. كان أهم سبب لوقوعهم في الهوى هو أنهم أخـلوا بمـنهـج الـسـلف في الاستـدلال بالنصوص. حينما تشددوا في الدين وتنطعوا وقسوا في الأحكـام بدؤوا يتنـاولـون نصـوص الكتاب والسنة بحسب ما يحلو لهم، أو يوافق اتجـاهـاتهم. فحينما اتجهوا إلى التكفير تشبثوا بنصوص الوعيد، وأغفلوا

نصوص الوعد. لأن الأولى توافق نزعتهم، والثانية تخالف نزعتهم. فعـولوا على نصوص الوعيد وتركوا نصـوص الـوعد، عولوا على جانب الخوف، وتركوا جانب الرجاء. ولذلك حكم عليهم الصحابة بأنهم من أهل الأهواء، مع أن منهم من يعدون من قراء القرآن. ومنهم من يشهد لهم بالبلاء في الجهاد، ومنهم من يشهد له بالاستقامة والعبادة الظاهرة، بل النبي صلى الله عليه وسـلم وصـفـهـم بأنكم (تحقـرون صلاتكم عند صلاتهم)، ووصفهم بأنهم (يقرؤون القـرآن)، ووصفهم بصفات أهل التقوى والصلاح ومع ذلك ذمهم وأمر بقتالهم وقد أتوا من حيث غلّبوا نزعـة الهـوى، ومن حيث تركـوا منهـج الاستدلال بالنصوص، رغم قيام الحجة عليهم، وكان السلف (أي الصحابة) بين ظهرانيهم، الذين أخذوا العلم والعمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم حينـما نزعوا إلى الشدة لم يهتدوا بهدي الصحابة ولم

يقتـــدوا بهم ولم يتلقـوا عنهم بل حكمـوا حتى على الصحـابـة بالتسـاهل والمداهنة. ووقعوا في الهوى. فكانت أول نزعة هوى في تاريخ الإسلام من طريق الخـوارج والسبـأية. ثم انفتحت أبـواب الأهـواء. فكـانت كل فرقـة خرجت عن أصـل أهـل السنـة والجـماعة لها نصيب من الهوى. وهذا أمر طبيعي. ولولا الهوى لاهتدوا.

الثاني: من مصادر أهل البدع والأهواء في الدين:

* الاعتماد على العقليات فيما لا طاقة للعقل به.

ذلك أن العقل نعمة من الله تعالى يميز به الإنسان بين الخير والشر. لكن للعقل وظيفة محدودة. لا تعدو ما كلفه الله به من النظر في عالم الشهادة، ومن توجيه الإنسـان وتـرشيده إلى الخـير والـرشد. هذه وظيفة العقل. لكن الذين عولوا على العقليات في الدين، وهم الجهمية والمعتـزلـة ومن جاء بعـدهم، أقحموا العقل فيما لا طاقة له به، أقحموه في الغيبيات التي لا

يعلمها إلا الله، ومن ذلك تقرير العقيدة، والعقيدة غيب. ولذلك صار الإيمان بالغيب أبرز سمات المؤمنين المتقين بالمهتدين المفلحين. كما ذكر الله تعالى في آيات كثيرة. قال تعالى: ﴿آلم . **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

فكانت أول صفات المؤمنين هي الإيمان بالغيب. ولذلك سموا بالمؤمنين أيضاً، أي المصدقين الموقنين.

وأصول العقيدة كلها غيب. وهذا مما ينبغي أن يفهم. بل هذا من الأمور التي أخل بفهمها كثير من الناس، وخاصة غالب الذين يسمون بالمثقفين والمفكرين. فإن بعضهم تطاول وتجرأ على الغيب، زعماً منه أن هذا مما يتناوله الفكر الإنساني، وهذا خطأ

شنيع، فالغيب غيب، وهو ما غاب عن الإنسان، والعقيدة غيب، ومبناها على التسليم، وهو الإسلام. ولذلك لا يمكن للبشر لو اجتمعوا جميعاً أن يقرروا أصلاً من أصول العقيدة من دون الشرع.

نعم العقول تؤيد ما جاء به الشرع، أعني العقول السليمة. لكن يستحيل أن تستقل العقول ولو اجتمعت كلها أن تخترع أصلاً من أصول الدين فيطابق الحق من كل وجه. وعلى هذا كان من أسباب انحراف كثير من الفرق التي ضلت عن نهج السلف تعويلها على العقل في أمور العقيدة. فبدأت أولاً في بعض أسماء الله وصفاته والسمعيات تأويلاً أو تعطيلاً فزعموا أن عقولهم لابد أن تحكم في ألفاظ أسماء الله وصفاته والسمعيات. فقالوا بقول غير قول الله سبحانه ولا قول رسوله صلى الله عليه وسلم في ذات الله وأسمائه وصفاته وسائر أمور الغيب. فلذلك جاءت بدعة تعطيل الصفات وتأويل الصفات، مثل

تأويل الاستواء بالاستيلاء، وتأويل اليد بالنعمة، وتأويل الوجه بالذات، أو بمعان أخر، وكذا تأويل بقية صفات الله.

وتأويل صفات الله تعالى. بنوه على تحكيم العقل في ألفاظ كلام الله تعالى، وكلام الله تعالى فيما يتعلق بالصفات كلام غيبي. لأن الله سبحانه وتعالى يوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وأنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فإذا كان ليس كمثله شيء، والعقل لا يمكن أن يعرف إلا الأشياء التي تدركها حواسه، أو الوسائل التي يتناول بها الإدراك، فإذا كان كذلك فإنه لا يمكن أن يدرك الأمور التي هي غيب لأنه لو أدركها ما صارت غيباً. ولذلك فإن الذين حكموا عقولهم في العقيدة خرجوا عن نهج السلف وحدث منهم الافتراق، أي أولئك الذين عولوا على العقليات. وهم: القدرية والجهمية والمعتزلة. ثم ظهرت فرق فيما بعد خلطت بين

المصادر الشرعية وبين المصادر المبتدعة. أي خلطت بين الشرعيات والعقليات فصارت عقيدتها عقيدة ملفقة، كفرق المتكلمين التي ظهرت بعد القرون الثلاثة الفاضلة وورثت الجهمية والمعتزلة، كالكلاَّبية والأشعرية والماتريدية.

الثالث: من مصادر أهل الأهواء:

*** الديانات والنحل القديمة:**

من المصادر المخالفة لنهج أهل السنة والجماعة عند أهل الافتراق التأثر بالديانات والنحل القديمة. وهذه السمة أكثر ما توجد في فرق الرافضة والباطنية والصوفية فإنها امتداد لديانات سابقة بشكلها ومضمونها، إلا أنها ترفع شعار الإسلام. وإن كان قد يوجد فعلاً ممن ينتسب للتصوف، أو ينتسب للتشيع من يكون في بعض أموره على الحق والسنة. ولكن هذا قليل، وقليل جداً. فإن القاعدة عند الشيعة وعند الصوفية أنهم يعتمدون على المصادر الوافدة

والوضعية والأهواء. فلذلك صارت هذه الفرق، فرق الروافض الباطنية، والصوفية، صارت مصباً لجميع الديانات والملل القديمة ومطية لكل زنديق ومنافق وحاقد يريد الكيد للإسلام والمسلمين، ولم يكن التأثر بهذه المصادر مقصورا على هذه الفرق بل تأثر بها طوائف من المسلمين تحقيقاً لخبر النبي صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة). وفي رواية، كما في البخاري ومسلم (شبراً بشبر وذراعاً بذراع). يعني لَتَفْعَلَنَّ طوائف من هذه الأمة ما فعلت الأمم الأخرى. والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك بصيغة العموم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) ولم يقل تفعل ذلك طائفة منكم فلذلك أنا أعجب من بعض من يسمون أنفسهم بمفكرين أو مثقفين ويزعمون أن الأمة ليس فيها افتراق، أو أنه ليس فيها من تأثر باليهودية والنصرانية أو المجوسية أو غيرها من الأمم، وأن ذلك إنما هو مجرد

مبالغات زعماً منهم أن هذا يحدث التفريق أو البلبلة في المسلمين. وهذا جهل أو هوى. فالحق لابد أن نعترف به وإن كان مرا. وهو: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بخبره الصدق أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالك إلا واحدة.

والواحدة من ثلاث وسبعين لا شك أنها تكون أقلية في أزمان الغربة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها (فرقة) و(طائفة) و(عصابة). وهذا أمر يجب أن يفهم ويرضى به. فهذا حكم الله وقدره وخبره. وحكم الله وقدره وخبره لابد أن نرضى به. هذا أمر. والأمر الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد الافتراق تأكيداً يشبه القسم (لتتبعن سنن من كان قبلكم)، والخطاب لمجموعة الأمة لكن الحكم بالافتراق واتباع الأمم الهالكة لا يشمل جميع الأمة بل طوائف منها وهم أهل ا لأهواء والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم استثنى طائفة، وفرقة وهم أهل الحق. وبدليل

أن الله تكفل بحفظ الدين، وبدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أنه ستبقى طائفة من هذه الأمة منصورة وظاهرة لا يضرها من خذلها ولا من عاداها، وبدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تجتمع أمتي على ضلالة. وإذن لابد أن يبقى من كان على الحق، سواء كانوا في مكان واحد، أو تفرقوا في أمكنة. إنما الزمان لا يمكن أنه يخلو من أهل الحق.

فعلى هذا نجمع بين النصوص، كما هو منهج السلف، في الاستدلال. فإذا أخذنا قول النبي صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم) وأخذنا بالأحاديث الأخرى التي تدل على بقاء طائفة على الحق، وجمعنا بينها عرفنا أن الخطاب لمجموع الأمة، والافتراق في طوائف منها وأن في الأمة من يتبع سنن السابقين. أردت بهذا أن أخلص إلى نتيجة، وهي أن من مصادر أهل الافتراق التي خرجوا بها عن مصادر الدين الأصلية اعتمادهم على الفلسفات والديانات

والملل والنحل القديمة. ولذلك نجد أن الفرق الضالة فيها شبه بأهل الديانات والنحل السابقة. وبعضها يجمع بين جميع الملل، خاصة الرافضة، والباطنية والمتصوفة، فالرافضة فيهم شبه من اليهود، وفيهم شبه من النصارى، وفيهم شبه من المجوس الفرس، وفيهم شبه من الصابئة، وفيهم شبه من الديانات الوثنية الرومانية. لأن الرافضة صارت مصبا للزندقة فيما بعد. فلذلك تحولت إلى فرق باطنية. والباطنية طريق الزندقة. وهي أسلوب أشبه ما يشبه في عصرنا هذا ظاهرة الحداثيين الذي يعبرون بألفاظ موهمة عن باطلهم ويستعملون الرموز وينزعون إلى المذاهب الهدامة ويمجدون أفرادها وأشخاصها. لكنهم قد يرفعون شعار الإسلام تمويها أو إبقاء على حياتهم، بل هو النفاق بعينه.

وكذلك ـ أيضاً ـ نجد في الصوفية شبها بكثير من الديانات والنحل والفلسفات الشرقية. بل إننا لو

تأملنا مناهج الصوفية في العقائد خاصة في التوحيد، وفي الأعمال الظاهرة، وخاصة ما يسمى عندهم بالسماع والوجد والأوراد وأسلوب العبادة وأدائها، الذي يقترن بالحركات، ويقترن بالألفاظ والأناشيد، والأحوال لوجدناها امتداداً للديانات السابقة، خاصة المجوسية والنصرانية، والديانات الهندية والفلسفة الغنوصية وهي أشبه، أو أقرب إلى النصرانية والمذاهب الشرقية أو الديانات الشرقية، بينما الرافضة تجمع هذا وتجمع أيضاً الشبه باليهود والمجوس الفرس.

أيضاً من المصادر التي يعتمد عليها أهل الأهواء التعويل على الأشخاص في الدين. إما بادعاء العصمة أو القداسة لهم، أو الاطراء لهم إلى حد يعلق القلوب بهم، تعلقا شركيا، أو تعلقا بدعيا. فالتعلق الشركي كالاستعانة والاستغاثة بهم من دون الله سبحانه وتعالى، والسجود لهم، أو نحو ذلك مما

هو موجـود في طوائـف من المسلمـين، أو التعلق البدعي بإعطائهم من البركة ما لم يكن له أصل في الشرع، أو التماس الخير والفضل منهم بأكثر مما ورد في الشرع فهـذا من التعلق الشركي والبـدعي وهو امتداد، أو استمداد للدين من غير مصدره الأصلي.

وهو توجيه للقلوب إلى غير ما يجب أن تتوجه إليه، وهـو الله سبحانه وتعالى وحده. نعم، الرجال أهل الحق والقدوة في الدين لهم حقوق، لما فيهم من العلم والفضـل والتقـوى والصـلاح. ولهم حقـوق على المسلمـين بعـامتهم، وعـلى طلاب العلم خاصـة، بتقديرهم واحترامهم وأخذ العلم عنهم والتأدب لهم، وإكرامهم والذود عنهم ونحو ذلك من وجوه الأدب المشروع. ولكن التعلق بالأشخاص بتوجيه القلوب إليهم لأمور تعبدية، أو عبادية، أو أوراد أو طقوس تجرى لأشخـاصهم فإن هذا من التعلق الشركي أو البدعي الذي هو إحداث في الدين. يتبع ذلك الثقة

العمياء بالأشخاص أو التعصب لهم. ويتبع ذلك أيضاً ادعاء العصمة لهم، ومن ثم ادعاء علم الغيب منهم، وأنهم يطلعون على أمور الغيب كلها أو بعضها، أو أنهم يشتملون على العلم اللدني،(*) وهذا من أوسع أبواب الضلالة التي تدخل بها زنادقة الصوفية والرافضة على أتباعها. فإن الرافضة تزعم أن لأئمتها العصمة التي لم تكن إلا للرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنهم تنزل عليهم الوحي، ولأنهم يتلقى عنهم الدين. فالرافضة تزعم أن لأئمتها العصمة. فلذلك تعلقت بأوهام وأخذت كلام البشر على أنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. واستغل الوضاعون والكذابون والزنادقة والكائدون

(*) خرافة العلم اللدني تعلقت بها الصوفية وأهل الأهواء وتعني بزعمهم: أن هناك من البشر (ممن يقدسونهم) من يشتمل على العلم بدون تعلم ولا كسب ويعلم علوم الشرع والغيب دون أن يتلقاه بالتعليم والتحصيل، ولا يحتاج لعلم الأنبياء والمرسلين، وهذا من تلبيس الشيطان عليهم نسأل الله السلامة.

للإسلام، والذين عز عليهم أن يفقدوا مذاهبهم وفلسفاتهم وأديانهم الباطلة، استغلوا هذا الاتجاه عند الفرق الرافضة والباطنية، وهو اتجاه ادعاء عصمة الأشخاص فوضعوا لهم ديناً كذباً. فلذلك تجد أن دينهم يقوم على الأهواء والبدع والوضع والكذب. ويعتمد على الأحاديث الموضوعة أكثر مما يعتمد على الاتباع والأحاديث الصحيحة والسنن والآثار ذلك أنهم جعلوا من مصادر الدين عندهم الرجال. واستغنوا بذلك عن الوحي والسنن، ومع ذلك كذبوا على الرجال أيضاً (خاصة الرافضة)، ونسبوا كذبهم إلى أئمة هدى. وهم الأئمة من آل البيت. كعلي بن أبي طالب والحسن والحسين والصادق والرضى وغيرهم. وهؤلاء من أئمة السنة، وأكثر ما ورد مقت الشيعة والرافضة ولعنهم من هؤلاء الأئمة من آل البيت. وارجعوا إلى التراث تجدوا ما يثبت ذلك. نظراً لأنهم ابتلوا بهم، حتى إن علي بن أبي طالب حرق

فريقاً منهم وطرد فريقاً. وحتى إن الحسن والحسين قالا فيهم ما قالا. إنهم خذلوهما ووقع منهم تجاههما ما يخالف الدين. المهم أن التقديس للأشخاص جعلهم يستمدون الدين من أهل الأهواء.

بالمقابل نجد أن الصوفية تجعل للأولياء قداسة. فتعطيهم خصائص هي من صفات الله سبحانه. كالنفع والضر وإحياء الموتى وادعاء علم الغيب وادعاء التشريع والتحريم والتحليل. وغير ذلك من الدعاوى الباطلة التي عولوا بها في الدين، حتى كادوا أن يستغنوا عن الكتاب والسنة، بل حتى لو افترضنا أنهم أخذوا بجميع نصوص الكتاب والسنة، ثم أضافوا إليها غيرها فإن هذا يعد باطلاً. لأن هناك من يدعى ـ وهم الرافضة ـ أنه يأخذ بكتاب الله، لكنهم يرفضون السنة كما هو معروف، وكذلك الصوفية فإنهم يزيدون على السنة مصادر أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، بل الأصل عند عامة الصوفية أصحاب

الطرق التلفيق بين المصادر. فهم كما يعتمدون أحياناً على آيات وأحاديث (ما يحلو لهم منها)، كذلك يعتمدون على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وعلى تخريفات الرجال عندهم، وأقول تخريفات الرجال؛ لأنهم أحياناً يتعلقون بالألفاظ الهسترية التي تحصل من بعض أشباه المجانين فيجعلونها كالوحي. فإذا خبَّط عندهم الرجل وأصابته الشياطين بالزأر أو بغيره، أو بالنشوة الشهوانية التي تحدث عند الرقص، (لأن من عباداتهم الرقص)، وهذى بهذيان قد لا يعي ما يقوله، تلقفوا هذا الهذيان وأخذوا على أنه كالوحي، فإن أخطأ أو خالف الشرع قالوا هذه كرامة، أو تأولوا له، أو قالوا كلامه سِرٌّ لا يفهمه إلا الخاصة، وأن، نصوص الشرع إنما هي أمور ظاهرة لا يفهمها إلا العامة. فلذلك نجد أن أغلب المتصوفة لا يعتمدون على الحديث كثيرا ولا يميزون بين الصحيح والمكذوب. وهذا حدث عندما بدأت

الشطحات والانحرافات الصوفية في القرن الثالث الهجري، حين بدأت تظهر منهم كراهية الحديث وطلبه، بل التنفير من طلب السنة والحديث. حتى أثر عن بعض الثقات من أهل العلم الذين كانوا من الصوفية ثم تركوهم أنه كان يقول: كنت أخفى قلمي ومحبرتي إذا التقيت بشيخي من الصوفية لئلا يزجره ويؤنبه، وكانوا يعنفون على المريد إذا طلب العلم لماذا يذهب إلى الكتاتيب وحلق العلم ليأخذ الحديث.

وعندهم مقولة شنيعة وأضل ضلالة، يقولون لأهل السنة (يعيرونهم)، أنتم، تقولون حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقول: حدثني قلبي عن ربي. نعم. حدثه قلبه عن الشيطان. لأن الوحي انقطع. ولذلك ثبت عند المحققين من أهل العلم أنه هناك من الصوفية من يستمد من شيطان أو جنى يتمثل له ويغويه، ويظنه أنه هو الله أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو الولي

فلان! ولا يزال من الصوفية (وقد سمعناه عنهم وقرأناه في كتب قديمة وكتب معاصرة) من يدعي أنه يتلقى عن الله مباشرة وأنه مستغن عن الشرع، وأنه مستغن في التحليل والتحريم عن الكتاب والسنة، بل منهم من يدعى أنه يجلس مع الله على العرش، طبعاً ذلكم عرش الشيطان. فتعالى الله عما يزعمون. فالشيطان يتبدى لأحدهم ولا شك، ويزعم أنه ربه، وهذا أمر معروف مشهور. فإن الله يسلط الشيطان على الغاوين أهل البدع لأنهم أولياء الشيطان، حتى يغويهم ويتبدى لهم ويزعم لهم أنه هو الرب. وقد حدث هذا منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما يزال يحدث. كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قابله النبي صلى الله عليه وسلم حدث بينه وبينه قصة معروفة وكان مما جاء فيها، (قال له النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ترى؟ فقال ابن صياد: أرى عرشاً على الماء). رأيتم كيف؟ يزعم أنه

يرى عرشاً على الماء. كأنه يوري بذلك أنه يرى عرش الرحمن. وقد كذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فذلك عرش الشيطان. فالشيطان قد يبدو للإنسان الغـوي من أوليائـه فيستهويه ويكلمه على أنه ملك الوحي. أو أنه الرسول صلى الله عليه وسلم أو على أنه الخضر، أو على أنه ربه. فإن الشياطين قد تسلط على أوليائها من الإنس الذين يوالونهم. وقد تسلطوا على غلاة الصوفية والباطنية وأهل البدع. قال تعالى: ﴿**ألم تر أنـا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ [مريم: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخـرف القـول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون**﴾ [الأنعام: ١١٢].

أردت بهذا أن أقول إن من مصادر الدين عند أكثر المتصوفة وعند الرافضة ومن نحا نحوهم الاعتماد على أهـواء الرجال في الدين، على أقوالهم أو أفعالهم أو

كلماتهم أو أوهامهم ، أو حتى أحيانا على ما يسمونهم الذوق والكشف والوجد . فإنهم يزعمون أن ما يحلو للولي فإنـــه وحي وتشريع فلذلـك استغلهم بعض المجـرمـين والفسقة، لفوائد، إما حب الرئاسة، أو حب المــال، أو حب الجــاه، أو حب الشهــوات والفـواحش، فقـد يستـطيع الفاسق أن يتمكن من الصوفية حتى يكون ولياً إذا استعمل الأساليب التي بها يجلب المريدين من الغوغاء العامة فلذلك وجد من شيوخ الصوفية من يرتكب الفواحش . فإذا ارتكب فاحشــة قالـوا هذه كرامـة وهذا مسطور في كتبهم ، وأرجـو ألا أغـري بذلـك أحـداً منكم بقراءة كتب الصوفية ، فإن عافية الله أوسع لكم . لكني أردت أن أشـير أو أبـين لكم أني متـوثق مما أقول، فإن كتب الصـوفية مليئـة بذكـر الفجور وفعل الفواحش من بعض أوليائهم ويزعمـون أن ذلك كرامة . بل إنهم يفتخـــرون بما يحدث من بعض الملحـدين من ترك

الصلاة من أوليائهم وأئمتهم، ويقولون إنه بلغ عنده الأمر من الكرامة والقربة إلى الله أن يبقى جسمه ويذهب قلبه في مكان آخر، قد يزعمون إنه البيت الحرام. أو نحو ذلك من التأويلات التي يتأولون بها.
ولا يزال منهم من يزعم بأنه يصلي ويطوف ببيت الله الحرام وهو في آسيا أو أفريقيا أو في أي مكان آخر بعيد عن جزيرة العرب، كل ذلك ناتج عن استحواذ الشياطين عليهم واستمداد الدين عن الأهواء والرجال. وجعل قداسة الرجال والتعويل على أقوالهم وأفعالهم مصدرا من مصادر الدين. وأعود فأنبه على أمر قد يلتبس على بعض الشباب، وهو أن هذا لا يعني أننا لا نقتدي بإمام ولا شيخ. بل الدين يقوم على القدوة، والعلم الشرعي لا يؤخذ إلا عن أهل العلم، وعلى ركب العلماء. لكن المحذور هو التقديس. وأما أخذ السنة عن الرجال المهتدين بالسنة علماً وعملاً فهذا هو الحق. والدين يؤخذ عن

العدول الثقات، لكن بدليله، وببرهانه. أما التعويل على الـرجال دون أن تكون عندهم صفات الاتباع والاستقامـة والاهتـداء والعـدالـة والثقـة والعقيدة السليمة فإنما هو ضلال وهوى.

الوقفة الثالثة

أثر عقيدة السلف في الفكر المعاصر والثقافة المعاصرة

وذلك أن دعاوى السلفية ودعاوى السنة والجماعة أصبحت تعرض بأسلوب دعائي عند بعض من يريد أن يجمع الناس حوله. هذا أمر، وأمر آخر أنه قد يوجد في خضم هذه الصحوة من يدعي السلفية أو يدعي السنة والجماعة دون أن يفقه هذه الأمور، أو لا يعلم معاني السلفية والسنة والجماعة ولوازمها العملية والسلوكية، ومنهجاً في التعامل مع الآخرين. وأمر ثالث أيضاً وهو: أنه قد يوجد من هو على مذهب السلف حقاً، لكنه قد يستعمل السلفية شعاراً أو وسيلة للاستعلاء وللتميز عن الآخرين من أهل الحق والهدى. وهذه الظواهر وإن كانت

بحمد الله قليلة، وكما قلت أرى بوادر رشد في هذه الصحوة المباركة في جميع العالم، بل نرى الحرص الجاد والصادق إن شاء الله على السنة. لكن لا يعني هذا أنه لا يوجد شيء من الجهل أو التقصير أو الخلل أو نحو ذلك مما هو ملازم للبشر، بنقصهم وتقصيرهم. بل إنا لو تأملنا واقع الصحوة وعرضناها على السنن التاريخية والسنن الاجتماعية سنن الله في خلقه، وجدنا الصحوة الآن تعيش فترة المراهقة، بعد الطفولة، وهي تسعى إلى الرشد إن شاء الله. وهذه الفترة فترة قد يصحبها شيء من التقصير والاضطراب والخلل والتخبط والاستعجال أحياناً، أو الصدمة من الواقع، أو نحو ذلك مما يكتنف الشباب الذين تقل تجربتهم. أو يقل علمهم. وهذا أمر يجب أن نعيه ونصبر عليه، ولكن يجب أيضاً أن نعالجه وأن نسدده وأن نبين الخطأ، وأن نقول الصواب والحق، لتقوم الحجة ولتبلغ النصيحة إن شاء الله.

ولا نزال نتحدث حول أثر عقيدة السلف في الثقافة المعاصرة والفكر المعاصر، وعلى الأخص على الدعوات والحركات المعاصرة التي تسهم في بناء الصحوة المباركة في العالم. وأقول في العالم لأنا بحمد الله رأينا بوادر الرجعة إلى الإسلام في كل الدنيا، فقد ولدت في العالم دول ترفع شعار الإسلام. وهي التي بقيت بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وبعد سقوط يوغوسلافيا نعم لقد ولدت دول عادت إلى هويتها الإسلامية، وإن كانت شعوبها تحتاج إلى شيء من التوجيه والترشيد والتعليم وهذا أمر إن شاء الله سيكون مع الزمن وأظن شباب الصحوة لديهم من الاستعداد والتضحية ما يجعلهم يقومون في حاجة إخوانهم في كل مكان. المهم أن هذا يستدعي ضرورة الاهتمام أولاً: بالعقيدة في بناء الأمة في المستقبل القريب والبعيد. ثم فرائض الإسلام وأحكامه، وكل ما يعيد للمسلمين العمل بدينهم نقيا ويصلح

دنياهم.

لكنا لو تأملنا الكثير مما في أيدي الناس من الكتب والمؤلفات والنشرات، والكثير مما عمله المسلمون عبر الدعوات والحركات المعاصرة بالذات من مناهج دعوية ومناهج ثقافية وفكرية، ولو تأملنا لذلك أحوال بعض الدعاة والمفكرين في العالم الإسلامي الذين لهم وزنهم وأثرهم لوجدنا أن أثر عقيدة السلف الحقيقية قد يكون باهتاً عند بعضهم. أو منحرفاً عنها عند بعضهم الآخر، أو معدوماً عند فريق ثالث. وهذا يعني أنا لابد أن نفحص ما يرد إلينا، وما نسمع، وما يعرض علينا من مناهج وأعمال ودعوات وغيرها. ونزن الأمور بموازين الشرع. ونرجع القضايا إلى أصول السنة وأصول الجماعة. وعلى هذا فإنا نحتاج إلى شيء من الانضباط في القراءة والانضباط في التلقي، والانضباط في سماع آراء الآخرين، والتأني في قبول أي فكرة، أو رأي يعرض، أو منهج يسلك.

ولا نأخذ الأمور بمجرد الثقة بلا بصيرة. نعم، الثقة بالمسلم هي الغالب، والثقة بالمسلمين هي الأصل. لكن فيما يتعلق بمناهج الدين لا. لابد أن يكون الأصل هو الكتاب والسنة، ولابد أن يكون الأصل هو ما تقرر في السنة وعند سلف هذه الأمة استناداً لقوله تعالى ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾. ولابد أن نتأكد وأن نحرر كل رأي وكل موقف من خلال هذه الأصول وهذه العقيدة. وقد لا يتأتى هذا لكل فرد، ولكل شاب. وإنما بحمد الله - كما وعد الله - يوجد بيننا من أهل العلم والفقه في الدين ومن الدعاة وطلاب العلم من لديهم من الإدراك والوعي والتجربة واستيعاب مناهج السلف ما نسد به الحاجة. فلذلك أحذر من الانعزالية أو الأسلوب الاستقلالي عند بعض الشباب في أخذ الدين وتناوله، أو في الحكم على الأشياء والأشخاص والمواقف دون الرجوع إلى أهل العلم وأهل التجربة

وأهل الفقه في الدين. فإن الاستقلالية عن العلماء أمر خطير، وهي غرور يهلك، بل هي منزلق إلى الأهواء من حيث لا يشعر بها الإنسان، بل الغالب أن الاستقلالية يصحبها شيء من النزعة إلى التعالي والاستغناء عن أهل الحق أو الكلام فيهم أو التجريح أو اللمز. وعلى هذا ينبغي لكل شاب أن يحرص على أن يزن كل ما يسمع وما يرى وما يعرض عليه من أفكار ومناهج وأعمال بموازين الشرع ويرجع إلى أهل العلم فيها ويستشيرهم.

ومهما بالغنا في الثناء على ما ظهر بين المسلمين بحمد الله من دعوات وحركات ـ وهذا أمر طيب ومحمود ـ لكن مع ذلك لا يعني هذا القبول المطلق لكل ما نرى ونسمع وما يعرض علينا من مناهج في الدعوات والأفكار. ولا أن نقرأ كل ما يزكى عندنا من كتب تزكية عامة بمجرد الأسماء والأشخاص. وإنما لابد أن يكون هناك شيء من التشاور والتأني والعرض

على الأصول. ولعلي أبين الأمر أكثر من ذلك فأقول: إن الكثير من الكتب التي في السوق، أي الكتب الإسلامية التي كتبت في العقود القليلة، وكثير من المناهج الدعوية التي عرضها أصحابها، وأكثر الدعوات المعاصرة التي قامت لا تخلو إما من إخلال بالعقيدة، وإما تقصير، أو جهل، أو التعلق بغير منهج أهل السنة، بل ربما يوجد من هذه الأفكار والأشخاص والحركات من يقصد بالسنة والجماعة فرقا أخرى لا نقر لها بأنها من أهل السنة والجماعة، وإن كان فيها شيء من الخير والفضل. فعلى هذا فإن من مستلزمات التزام عقيدة السلف أن نتشبع بالعقيدة أولاً وأن نتعلمها وأن نعلمها وأن ننشرها لنثبت الموازين الشرعية جيدا، ثم بعد ذلك لا مانع أن نأخذ ما عند الآخرين من خير وفضل. ولا يعني هذا أن كل ما في السوق وكل ما يوجد في البلاد الإسلامية من حركات ودعوات فيه غبش. بل أقول يوجد الكثير

بحمد الله فيه خير، لكننا مع ذلك في غنى من أن نستمد العقيدة من الغير أو أن نقلد غيرنا دون بصيرة. بل ينبغي أن نسهم في إصلاح عقائد الآخرين ومناهجهم وألا يحقر أحدنا نفسه. وبالمقابل كذلك لا نجحد ما عند الآخرين من خير وفضل وسبق في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإسهام في عز الأمة ونشر الإسلام فالمسلم ينبغي أن ينصف وأن يعدل، أهل السنة والجماعة هم أولى الناس وأجدرهم بالحق والعدل، بل هم أهل الحق والعدل. فهم يصدعون بالحق ويبينونه ولا يبالون. لكن بالحكمة والأسلوب المناسب. وبالمقابل يذكرون ما عند الآخرين من خير وفضل حتى وإن وجدت عندهم أخطاء.

إنما الواجب لجميع المسلمين النصيحة والتسديد وبيان الحق فإن المسلمين أحوج ما يكونون الآن إلى النصح والتسديد، وحاجتهم إلى بيان العقيدة ونشرها وتفهيمها أكثر من حاجتهم إلى النقد والتجريح.

لذلك يؤلمنا ما يحدث أحياناً ممن ينتسبون لعقيدة السنة ولمنهج السلف من قسوة على الآخرين، ومن غمط بعض أهل الحق حقهم، من أهل الدعوات والدعاة، ومن أهل الخير والعلم والفضل الآخرين، وإن كان عندهم شيء من الخطأ والانحراف. فالله تعالى يقول: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾. **الحجرات**.

بل مما يؤلم أكثر الحرص على النقد والتجريح (عند بعضهم) أكثر من الحرص على التسديد والتقويم والنصح. ذلك أن أكثر الانحراف في المسلمين لم يكن وليد العصر، وإنما كان انحرافاً متوارثاً نشؤوا عليه جيلا بعد جيلا، وأن نعالج أمراضهم بالدواء

المناسب، ولا أن نزيد الطين بلة، ونثخن الجراح، فإن أسلوب التجريح أسلوب لا يفي بالغرض الشرعي ولا بالغاية المطلوبة من الدعوة إلى الله. ورأينا أن أسلوب التجريح يؤدي إلى استفزاز الخصوم، وأن أسلوب التجريح يؤدي إلى رفض الحق والتعصب على الباطل، وأحياناً يؤدي إلى تنبيه الغافل إلى أن يتمسك بالبدعة، بدلاً من أن يقبل السنة والله تعالى أرشدنا إلى أن نتوخى الأسلوب المناسب حتى في التعامل مع المشركين فقال تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾ [الأنعام: ١٠٨]. وما دمنا جربنا هذا المنهج وثبت فعلا أنه منهج لا يخدم الدعوة ولا ينتصر به الحق فالحكمة ضالة المؤمن. ولو استقرأنا واقع النصوص ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة ومنهج الصحابة والسلف الصالح لوجدنا أنه بعيد عن المهاترات والتجريح، ومعالجة الأخطاء باسم

الأشخاص والتشفي والحكم على القلوب، وغير ذلك من الظواهر التي بدأت تظهر في نفر قليل ممن ينسبون إلى الدعوة والعلم. لكن معظم النار من مستصغر الشرر. فينبغي ألا نتساهل في هذه الظاهرة أي الفضاضة والغلظة ولا نقول إن هذه توجد في عدد قليل والعدد الأكبر والحمد لله على سمت المشايخ والعلماء وسمت طلاب العلم والدعاة وأنهم بعيدون عن المهاترات. ونقف عند هذا الحد، بل يجب أن نعالج هذه الظواهر قبل أن تكبر. فإنها إذا كبرت عم البلاء بها، وإذا كبرت جرت الجميع إلى الفتنة. ولا يغيب عنا الاستفادة من أحداث التاريخ التي حدثت في المسلمين الأوائل وهم أقرب إلى الحق وأكثر حرصاً على السنة وأفقه في الدين، ومع ذلك بدأت هذه الأهواء قليلة بأفراد قلة، ثم كبرت حتى صارت فرقاً تحتذى إلى يومنا هذا، بل صارت مثلاً يضرب للافتراق في الدين. فيجب أن لا نتساهل في علاج

هذه الظواهر، وأن نسعى جميعاً إلى التناصح والتعاون على البر والتقوى. وأن نكون يداً واحدة في سبيل الحق وفيما هو في صالح الإسلام والمسلمين والسنة.

هذا وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد والرشاد. وأسأله تعالى أن يهدينا إلى الحق وإلى السنة، وأن يقينا شر الأهواء والفتن، ما ظهر منها وما بطن. وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل الطاعة والخير ويذل فيه أهل المعصية والشر، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر. وأن ينصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان، وأن يعيد للأمة عزها ومجدها ليعم الخير والسلام.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ناصر بن عبدالكريم العقل

من اصـــدارات
دار الصميعي للنشر والتوزيع

- ***الصفحات الناضرة في الأبيات الحاصره .***
  جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم .... ١٨ ر.س
- ***إتحاف اهل الإيمان بما يعصم من فتن هذا الزمان.***
  الشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٧ ر.س
- ***كتب في الساحـة الإسـلامية .***
  إعداد / الشيخ عائض بن عبدالله القرني .... ٥ ر.س
- ***مأسـاة نـورة وآخـرين .***
  تأليف بهيه عبدالرحمن أبو سبيت .... ١٠ ر.س
- ***رسـالة إلى سـجين .***
  إعداد إبراهيم بن صالح المحمود .... ٥ ر.س
- ***آداب النـوم .***
  إعداد الشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س
- ***بيـان فضـل علم السـلف على علم الخلف.***
  الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ حققه محمد بن ناصر العجمي .... ٤ ر.س
- ***الـــدعـــوات المســتجابـة.***
  جمعها الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢ ر.س
- ***رسـالة إلى مـدخـــن .***
  إعداد إبراهـيم بن صالح المحمـــود .... ١ ر.س
- ***الحيـــاء واثـــره في حيـاة المسلم.***
  الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س
- ***تـــاج الفـوائــد.***
  اعداد : الشيخ عائض بن عبدالله القرني .... ٣ ر.س

- ***كيف تصلي على الميت .***

الشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله .... ١ ر.س

- ***مواقف بطولية سجلها التاريخ .***

جمع وإعداد : إبراهيم بن عبدالعزيز الشثري .... ٣ ر.س

- ***الذكاة الشرعية واحكامها وحكم اكل اللحوم المستوردة .***

للشيخ: صالح بن فوزان الفوزان .... ٣ ر.س

- ***فتيات تائبات .***

إعداد : إبراهيم بن صالح المحمود .... ٢ ر.س

- ***وصف النار .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س

- ***وفد تجيب «قصة تربوية من السيرة النبوية».***

إعداد : أحمد بن عبدالله الباتلي .... ٢ ر.س

- ***تذكير الشباب بما جاء في .. إسبال الثياب.***

الشيخ: عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢ ر.س

- ***التوكل على الله واثره في حياة المسلم .***

الشيخ: عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س

- ***ما يعصم من الفتن .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ١ ر.س

- ***توجيهات للطالبات .***

إبراهيم بن صالح المحمود .... ٢ ر.س

- ***صبر الأولياء في منازل الابتلاء .***

إعداد الشيخ: عائض بن عبدالله القرني .... ٣ ر.س

- ***القراءة البدء والاستمرار .***

إعداد: يوسف بن محمد بن إبراهيم العتيق .... ٣ ر.س

- ***مجموعة فـوائـد مهمـة.***

جمعها ورتبها الشيخ : عبدالرحمن بن عبدالله آل فريان .... ٢ ر.س

- ***كشف الغمة عن أحوال الأمة .***

خالد بن علي بن محمد العنبري .... ٣ ر.س

- ***الوسائل المفيدة للحيـاة السعيدة .***

الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي .... ١ ر.س

- ***كيف تحفظ القـرآن الكريم.***

جمع وإعداد الشيخ: محمد بن علي العرفج .... ٣ ر.س

- ***فتاوى ورسائل في الأفـراح .***

سماحة الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

والشيخ : محمد بن صالح العثيمين .... ١ ر.س

- ***الممتاز في مناقب الشيخ ابن بـاز .***

إعداد : عائض بن عبدالله القرني .... ٤ ر.س

- ***أحكام الغسل من الجنابة والاحتـلام .***

جمعها الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢ ر.س

- ***ريـاض الجنـة .***

إعداد : حمد بن إبراهيم الحريقي .... ٣ ر.س

- ***تذكير البشر : فضل التواضع وذم الكبر .***

جمعها الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س

- ***تذكير العباد بحقوق الأولاد .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س

- ***الأسـوة في تعـدد النسـوة .***

جمعها : عدنان بن عبدالله المهيدب .... ٢ ر.س

- ***الافادة فيما ينبغي أن تشغل به الاجازه .***

جمعها الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س

- ***تذكير الأبرار بحقوق الجـار .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢ ر.س

- ***الأخبار بأسـباب نزول الأمطار .***

جمعها الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س

- ***صـور من حياة العلماء [١] .***

إعداد : أبي إبراهيم حمد بن إبراهيم الحريقي .... ٢ ر.س

- ***الصحوة الإسلامية وحاجتها إلى العلم الشرعي .***

إعداد : عائض بن عبدالله القرني .... ٤ ر.س

- ***تذكير البشر بأحـكام السفر .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٤ ر.س

- ***نصـح وإرشـــاد .***

تأليف الشيخين: عبدالله بن محمد عبيد ـ وإبراهيم بن محمد الضبيعي

وتقديم الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢ ر.س

- ***الـروض البســام من ترجمة بلوغ المرام.***

تحقيق : أحمد بن عبدالعزيز آل عبدالمحسن .... ١٠ ر.س

- ***إتحاف الاخوان والأحباب بأهمية القراءة ومجالسة الكتاب.***

يوسف بن محمد العتيق .... ٢ ر.س

- ***وقفـة حول الولاء والبراء في الإسلام.***

إعداد : الجوهرة بنت عبدالله .... ٣ ر.س

- ***تذكير النفوس النبيلة بأضرار الشيشة .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ١ ر.س

- ***من قصـص السـعداء والأشـقياء .***

ناصـر بن إبراهيم الرمـيح .... ٢ ر.س

- ***ماذا يجب على المسلم المصلي .***

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ١ ر.س

- **تذكير الأنـام بأحـكام السـلام .**
الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٣ ر.س
- **حـالنـا بعـد الحــرب .**
إعداد : إبراهيم بن صالح المحمود .... ٢ ر.س
- **هذه نصيحتي لك يا طالب العلم إن أردت النجاة .**
إعداد : فيحان بن سليمان الغربي .... ٢ ر.س
- **رسـالة إلى المسـرفين .**
خـالد الـرشـيد .... ٣ ر.س
- **آداب التثاؤب والعطاس .**
أبو محمد إسماعيل مرشود الرميح .... ٣ ر.س
- **هـدية إلى كل مريـض .**
أحمد بن حسن بن محمد الزهراني .... ١ ر.س
- **المـورد الزلال شرح حديث أصحاب الضلال .**
صالح بن عبدالله العصيمي .... ٣ ر.س
- **الصـبر وأثره في حيـاة المسـلم .**
الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢ ر.س
- **رسـالة إلى المتقاعـدين .**
الشيخ : محمد بن علي العرفج .... ٣ ر.س
- **تفسير سـورة النصـر .**
تأليف : الامام بن رجب الحنبلي
تحقيق : محمد بن ناصر العجمي .... ٤ ر.س
- **تفسير سورة الاخـلاص .**
تأليف : الامام بن رجب الحنبلي
تحقيق : محمد ناصر العجمي .... ٤ ر.س

■ **تزكيـة النفـس .**

إعداد: أبو البراء سعد الطخيس

تقديم: عائض بن عبدالله القرني .... ر.س

■ **قـرة العينين في العشرة بين الزوجين .**

الشيخ : خالد بن أحمد بن عبدالله الدرهم .... ٣ ر.س

■ **التقوى الدره المفقودة والغاية المنشوذة.**

تأليف : أحمد فريـد .... ٨ ر.س

■ **مدارج العبودية من هدي خير البرية .**

سليم بن عيد الهلالي .... ١٠ ر.س

■ **بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري .**

تحقيق : علي حسن عبدالحميد .... ر.س

■ **الفجـر الجـديـد .**

منـيرة الشـيحـة .... ٢ ر.س

■ **مـن أعـلام المجـدديـن .**

الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان .... ٧ ر.س

■ **الثمار اليانعة من الكلمات الجامعـة .**

الشيخ : عبدالله بن جارالله الجارالله .... ٢٠ ر.س

■ **كيـف ترضى ان يدخن في حضـرتك .**

اعداد : أبو محمد إسماعيل الرميـح .... ٢ ر.س

■ **هـديـة إلى الأم الجـديـدة .**

إبراهيم بن صالح المحمود .... ر.س